

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

بنية النص من منظور الخطاب النقدي العربي المعاصر

The structure of the text from the perspective of contemporary

Arab critical discourse

الدكتور : غالي عبد القادر

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم - الجزائر

ghaliabd580@gmail.com

الإيميل: ghaliabd580@gmail.com

المؤلف المرسل: غالي عبد القادر

تاريخ القبول: 2023-10-01

تاريخ الاستلام: 2023-08-02

الملخص:

لقد احتلّ النصّ مكانة متميزة في النظرية النقدية المعاصرة ، و أصبح يشكّل محورا مهما في محاور نظرية النص، التي تنتمي إلى أفق الحداثة و ما بعد الحداثة. و تتخذ النص محورا لها و تعمل على إعادة تشكيله وفق رؤية علمية قائمة على أسس لسانيه تنتهج نهجا وصفيا قائما على التصنيف و تحليل المستويات التي يتمتع بها النص. و تحاول الابتعاد عن المعايير الجمالية التي أنتجتها نظرية الأدب و مرجعياتها الفلسفية.

وعلى الرغم من احتفاء التراث النقدي و البلاغي لمفهوم النص فإن الخطاب النقدي العربي المعاصر ظل يشمل هذا المفهوم بأبعاده الفكرية الغربية التي تتباين تباينا واسعا على الأسس النصية العربية. لذا سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية :

- كيف تعامل النقاد العرب مع المكونات الأساسية لبناء النص ؟ وما المرجعيات الثقافية التي انطلقوا منها

؟ أو كيف تعامل الخطاب النقدي العربي مع النص ؟

الكلمات المفتاحية: البنية ، النص ، الخطاب ، النقد العربي المعاصر

Summary:

The text occupies a prominent place in contemporary critical theory, and has become an important axis in the theory of text, which belongs to the horizon of modernity and postmodernism. The text takes center stage and works to reshape it according to a scientific vision based on linguistic foundations, following a descriptive approach based on classification and analysis of the levels enjoyed by the text. It tries to move away from the aesthetic standards produced by the theory of literature and its philosophical references.

Despite the celebration of the critical and rhetorical heritage of the concept of the text, the contemporary Arab critical discourse continued to include this concept of Western intellectual dimensions, which vary widely on the basis of Arabic text. So we will try to answer the following problem:

-How did the Arab critics deal with the basic components of building the text? What are the cultural references from which they started?

-How did the Arab critical discourse deal with the text?

Keywords: criticism, text, discourse, heritage, modernity

الرائجة إلى حدّ معين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، محمد مفتاح و صلاح فضل، و سعيد بن كراد، و حاتم الصكر، و عبد المالك مرتاض، و محمد عابد الجابري، و جابر عصفور، و سعيد يقطين، و علي حرب و غيرهم.

واقع الخطاب النقدي العربي المعاصر

لقد وجد الخطاب العربي النقدي نفسه أمام مواجهة النموذج النقدي الغربي، إذ وقفنا متعجبين بسحره العجيب فوجب علينا أن نؤسس لوجوده في ظلّ تراكمات معرفية كبيرة، وخصوصاً أنّ الوافد إلينا من الغرب قد أسس حضارة في تربته وأنت أكلها، إلاّ أنّه في الساحة النقدية العربية لم تكن كذلك؛ لأنّه ظهر في مرحلة الثقافة نتيجة لتلقينا مجموعة من المناهج الغربية، وإذ أردنا الولوج إلا واقع نقدنا العربي وتحديد ملامحه ورؤاه المستقبلية ومساءلة أدواته الإجرائية سنجد أنفسنا أمام نقد غربي كتب بأقلام عربية" فقد ظلّ المسار النقدي الغربي هو الذي يوجّه النقد الأدبي العربي ويفرض عليه في كلّ مرحلة إبدالاتها الخاصة والمتجددة"

لهذه المناهج التي تختلف كلياً عن تربتنا العربية، بالإضافة إلى ذلك الخصوصية التي يتميز بها الإبداعي العربي.

تمهيد:

يعيش الخطاب النقدي العربي عدّة أزمات و تحولات سواء على الصعيد المصطلحي أو على الصعيد المفهومي، و يعاني من إرباك منهجي واضح يعتري فضاءه المعرفي، و يتجلى ذلك في طروحات النقاد العرب الذين استعاروا المناهج النقدية الغربية من دون الوقوف على مقدماتها الفلسفية و أصولها المعرفية و امتداداتها الفكرية، لتأسيس نظرية نقدية عربية الرؤية تؤسس لمقاربة التصوص، و الخطابات العربية و الإبداعية، و النقدية كذلك.

و من طبيعة الباحث الجادّ في النقد العربي أنّه لا يركز على الإجابات و التحليلات المتسرّعة التي تعالج سطح الظاهرة، لا أسرارها، لهذا لم يقف النقاد و الباحثون العرب مكتوفي الأيدي إزاء هذه المشاكل و الرهانات التي يعيشها الخطاب النقدي العربي المعاصر، على حدّ سواء بل حاولوا تأسيس العديد من المشاريع النقدية، فمنها من نال رواجاً و منها من لم يخرج عن نطاقه الضيق، فمن أهم المشاريع النقدية

1.

ولا حرج في ذلك لأنّ الانفتاح على الآخر والتأثر به حقّ مشروع، لكنّ ذلك لا يتمّ إلاّ وفق شروط وضوابط علمية بالإضافة إلى المهاد الأصلي

النص بين اللغة والاصطلاح :

عندما نبحث عن مفهوم النص نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات الخاصة به، و ذلك لتعدد معايير هذا التعريف و مداخله و منطلقاته، و كل تعريف منها يعكس وجهة النظر الخاصة بمعرفة المرجعيات الفكرية و التراكبات المعرفية التي ينطلق منها، و لذلك سنقتصر على بعض التعريفات التي نراها تخدم البحث، باعتبار أن "النص" يعد حجر الأساس و أن أي عمل لساني نصي، لابد و أن يركز أساسا عليه.

أ- النص لغة:

تعددت المعاني اللغوية في مادة "نص" حيث يقول : ابن منظور في لسان العرب "النص: رَفَعَكَ الشَّيْءُ، نَصَّ الحَدِيثَ يُنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ وَ كَلَّمَ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ... وَ نَصَّ الرَّجُلَ نَصًّا: إِذَا سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَقْصِي كُلَّ مَا عِنْدَهُ وَ نَصَّ كُلَّ شَيْءٍ مِّنْهَا... قَالَ الزَّهْرِيُّ: النِّصُّ أَصْلُهُ مَنْتَهَى الْأَشْيَاءِ وَ مَبْلَغُ أَقْصَاهَا، وَ مِنْهَا قِيلَ نَصَّصْتُ الرَّجُلَ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ عَنِ الشَّيْءِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ"⁴.

فيرى ابن منظور أن الزهري يعيد الحديث الذي يسمع كما هو، بلا زيادة و لا نقصان، و لا إضافة و لا حذف، و غيرها من الظواهر التي تدفع القارئ إلى استنتاج معنى إضافي لم يلتفت إليه من قبل في تحديده

ومن هنا فإنّ الخطاب النقدي كمجال من مجالات الخطاب الأدبي المتخصص ينطلق من مصادر أساسية تتصوّر نوعاً من التلاحم والتفاعل بين علمية النقد وإبداعيته، بمعنى أنّ الخطاب النقدي كجهاز معرفي ونظام وظيفي عليه أنّ يتعامل بشكل دوري مع النقد الأدبي نفسه، باعتباره خطاباً متميزاً له وظائفه المختلفة، ومع طبيعة العلاقات الداخلية بين هذه الوظائف فهو يشمل كلّ من النقد التطبيقي والنظري والتعليمي، وحتى نقد النقد أو الميتانقد (metacritique)².

في حين أنّ الممارسة النقدية حقل بحثها ليس المعرفة، وإنما معرفة المعرفة باعتبار أنّ النص في جوهره حامل لمعرفة أولى، ومن ثمّ نجد أنّ الممارسة النقدية تشتغل على معرفة المعرفة، التي تتطلب معرفة دقيقة بقضايا التراث العربي، وتستدعي معرفة واسعة بالمناهج النقدية في أصولها الأولى³.

فشكّل هذا التأسيس للخطاب النقدي العربي برده إلى نظم معرفية مغايرة بعدا سلبيا عفا عن بؤر مضيئة في سيرورة الخطاب النقدي العربي، فقد أدّى فهم الخطاب في منظوره الغربي إلى تجاهل مفاهيم نقدية عربية حقها أن تبرز وتتجلى في الساحة النقدية، في حين أنّ النظر إليها من المنظور الغربي حدّد الزاوية باتجاه بعيد كلّ البعد عن الوجهة الحقيقية للمفهوم.

حيث لكل حقل من الحقول المعرفية التي احتضنت هذا المصطلح تعريف خاص، و يبقى الحقل اللساني لوحده يحمل عدّة تعاريف، تلتقي أحيانا فيما بينها و تختلف أحيانا أخرى.

لقد احتلّ النصّ موقعا متميزا في أغلب العلوم الإنسانية و الأدبية إلى الحدّ الذي يمكننا وصف القرن العشرين بأنّه عصر النصّ بامتياز، و أنّ التنوّعات التي تحققت عبر البحث فيه أدّت إلى ظهور مفاهيم جديدة، تترك الباب مفتوحا للإمساك بسماته و تجلياته في القرن الواحد و العشرين⁵.

كما ظهر الاهتمام بالنصّ الأدبي خاصة نتيجة الأبحاث الرائدة التي قدمتها اللسانيات المعاصرة بمختلف اتجاهاتها و ما أسفرت عنه من تطور للعلوم المهمة بدراسة الخطاب و نضج آلياتها التحليلية كالتسميات و الأسلوبية و غيرها؛ إذ وقفت هذه العلوم عند النصّ الأدبي باعتباره ظاهرة لغوية.

و حين متابعة تعريفات النصّ يلاحظ أنّها ذهبت مذاهب شتى في تعيين خصائصه النصّية و مكوّناته التعبيرية و أسسه التواصلية، و أنّ كل تعريف منها يعبر عن وجهة نظر خاصة و تصوّر مغاير، و في هذا الصدد نلتقي مع محمد مفتاح الذي تتبّع مختلف تلك التعريفات و التصورات، فاستخلص منها ستة

لمعنى النصّ و جاء أيضا من تعريفاته اللغوية: "نصّ المتاع: جعل بعضه فوق بعض"، أي جعله متراكبا، فهذا التعريف يرى الكلام من جهة تجلّيه النصّي أي في صياغته، و ذلك عندما تتكاثف دلالاته حول الظهور و التنافس و التقصّي، لتقرب من معنى النصّ الذي يعني ضم الشيء إلى الشيء.

فإذا تتبّعنا معاني مادة (نصص) نجدها تتمحور حول معنى الوضوح و الرفع و الإظهار و الانكشاف و التعيين و الاسناد و الانضمام، و التعيين و الارتقاء؛ و هي أفكار أخذت مكانها في التعريفات المعاصرة، و ظهرت دلالتها في اللسانيات الحديثة، ممثلة في لسانيات النصّ، و بعض ما قدّمته الأسلوبية، و ما نتفق عليه أنّ أصل معنى النصّ في الثقافة العربية قائم على فكرة الرفع و الإظهار و يعينان أنّ المتحدث أو الكاتب لا بدّ له من رفع نصّه و إظهاره حتّى يفهمه المتلقّي. أمّا ضمّ الشيء إلى الشيء و إسناده فهي إشارة إلى الاتساق و الترابط الحاصل بين الجمل.

ب- النصّ اصطلاحا:

إنّ أكثر المصطلحات إثارة في ميدان الدراسات اللغوية هو مصطلح "النصّ"، و صعوبة إيجاد إطار مفاهيمي محدّد لهذا المصطلح ترجع إلى كونه مفهوما تداخلت في بنائه تصوّرات معرفية عديدة، و صار يحمل أكثر من دلالة واحدة و يضم أكثر من تعريف؛

الكلمات يترابط بعضه ببعض كالحياض التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متناسق" ⁸. و هذا التحديد لم يكن تحديدا لسانيا و حسب، و إنما حاول أن يحدّد النص وفق إحدى خصائصه و هي خاصية التماسك و الترابط التي تدخل في بناء النص و تكوين وحدته النصية، و هي إحدى طروحات علم النص.

في حين لم يستطع الناقد عبدالله الغدامي بناء مفهوم خاص للنص بل ظلّ يعمل على إعادة استهلاك مفاهيم المناهج النقدية، فتارة ينطلق من المنهج البيوي الذي ينظر إلى النص على أنه (علم مغلق) محاولا عزله عن مؤلفه و عن عصره، جاعلا النص بنية فنية تمتلك استقلالها و خصائصها، التي لا تشترك فيها مع أي نص آخر حتى لو كان للمؤلف ذاته، و على الرغم من إيجابيات هذا الاتجاه التي حققت للنص بعض القيم الفنية فإنها تضمنت سلبيات خطيرة تمثلت في إغفال (السياق) و (الشفرة) ⁹.

و تارة أخرى يتبنى مفهوم الأثر عند دريدا، فيرى الناقد أنّ النص لا يكتب إلا من أجل الأثر، إذ لا يكتب أحد شعرا ينقل إلينا أقوال الصحفي، و إنما يكتب الشعر طلبا لإحداث الأثر، فالأثر سابق للنص لأنه مطلب له، فإذا ما جاء النص و تلبس بالأثر صار هذا الأثر هدفا للقارئ و الناقد، و بدأ يأتي الأثر

عناصر مجتمعة تحدّد ماهية النص، هي أنه : مدونة كلامية، و حدث، و تواصلية، و تفاعلية، و مغلق، و توالدي ⁶. ففي تصوره أنّ الأساس الكلامي للنص يجعله مختلفا عن غيره من أشكال التعبير الأخرى غير الكلامية، فهو بذلك يجمع المفهوم الكلامي للنص بين البنية اللغوية و الوظيفية التي تؤدّيها تلك البنية.

و مما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ النقاد العرب تناولوا مفهوم النص في كتاباتهم الناتجة من رؤى منهجية متباينة لذا يعزو الناقد حاتم الصكر تبيان مفهوم النص إلى تباين المناهج النقدية التي تبناها النقاد العرب، و هذه المناهج قد ساعدت في إشكالية المفهوم، فالمنهج البيوي يرى أنّ النص نسيج يشبه نسيج العنكبوت، و الماركسية ترى أنّ النص ظاهرة مصاحبة للإيديولوجية و اللسانيات تحدده كمدونة أو مقولة لغوية و إطار لتوزيع الوحدات المكوّنة لها، أما السيميولوجية فتري النص مجموعة من العناصر المكوّنة تتألف و تتسق طبقا لقوانين معينة، بينما يجاهر بعضهم بالقول أنّ النص لا يمكن تحديده أو وصفه و هو يستعصي على المنظرين، و إنّ ما طرحه مناهج النقد لا يعدو أن يكون إلا وصفا جانبيا له يعجز عن الإطاحة به ⁷.

و من هنا يتّضح لنا أنّ النقاد العرب حاولوا تحديد مفهوم النص عبر طروحات مستوردة، فذهب بعضهم إلى تحديد المفهوم طبقا لتصور اللساني "هالدياي"، فيعتقد أنّ النص هو "نسيج من

تغييرها شكليا من دون المساس بمضمونها الفكري، فأصبح المفهوم يحمل شكلا عربيا و روحًا غربية، بينما سار الاتجاه الثالث إلى محاولة إنتاج مفهوم للنص حاول أن يخرج هذا المفهوم من دائرة الإشكالية، و يضعه في دائرة الاتفاق و الاصطلاح¹².

و ما يمكن أن نخلص إليه هو أنّ وقوع النص داخل مركز منظومة المعرفة الإنسانية أسهم بشكل فاعل في انفتاح النص على حقول معرفية ساعدت على تطوير المباحث النصية من جهة و عملت على زيادة مساحة الإشكال في المفهوم من جهة أخرى، كما واجه مفهوم النص الخطاب التقدي العربي مفهوما إشكاليا، و ظلّ هذا الخطاب يتراوح في معاينة ذلك المفهوم ضمن مناهج عديدة حاول بعضهم تبني طروحاتها و ترديد مقولاتها وتتبع أنساقها الفكرية، بينما اتجه بعضهم الآخر إلى تبني المنهج التكاملي، و الجمع بين المناهج النقدية كما اتضح ذلك في طروحات الناقد محمد مفتاح.

بناء النص و تشكيله:

إنّ بناء النص يشكّل محورا مهمّا في محاور نظرية النص، حيث تتضافر عناصر عديدة لتشكيل نسيج النص و عالمه اللغوي الذي غادر الجملة ليلج إلى فضاء معرفي واسع تحاول مباحث علم النص رصده و دراسته و تحليله، فلم تعد المباحث الصوتية و

بعد النص و من خلاله و من قبله، و تتداخل العلاقة بين النص و الأثر حتّى تنعكس بسببها معادلة (السبب و النتيجة)¹⁰. هذا يعني أنّ الناقد ينتقل في طروحاته من منهج إلى آخر، فبعد أن كان يعاين النصّ ضمن مفهوم مغلق على ذاته و يتّجه نحو سلطة النصّ، أخذ يغيّر مساره نحو مفهوم الأثر الذي يفصح عن علاقة النصّ بالقارئ، أو على وجه الدقة تفاعل القارئ مع النصّ، و هذا يحيل إلى إعلاء سلطة القارئ، و هنا ينسب الأثر لدريدا.

و من هنا يتّضح لنا أنّ الغدامي لا يخرج عن هذه الطروحات المتعلقة بمفهوم النصّ، فالتصّ هو الأثر، و النصّ هو القارئ، و كلّ نصّ ينجح في تحقيق هذا الأثر يطلق عليه بارت النصّ الكتابي، لأنّه يكون ذا قدرة على التجدد و الانفتاح¹¹. أي أنّ الغدامي يحاول أن يراوح بين هذين المنهجين، ففي الموضوع السابق ينسب مفهوم الأثر لدريدا، و هنا نراه ينسبه إلى رولان بارت، و تارة يغلق النصّ و تارة أخرى يجعله مفتوحا على القارئ.

و يمكن تصنيف المحاولات التي قام بها النقّاد العرب إلى ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول سعى إلى استنساخ المفاهيم الغربية و النهج على خطاها من دون أيّ تغيير أو انحراف، أمّا الاتجاه الثاني فعمد إلى تحوير المفاهيم الغربية و

بخاصية خطية، أي أنه يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية، و تصبح المتتالية متماسكة دلاليا¹⁵.

يفهم من هذا الذي تقدّم حسب ما أكدّه صلاح فضل أنّ الانسجام يعدّ من أهمّ الروابط التي تربط بين مكونات النص لتشكيل البنية النصية الكبرى، و قد تباينت الطروحات اللسانية في تحديد هذا الانسجام، فبعضهم يراه من منظور لغوي، و البعض الآخر يراه من منظور دلالي، بينما قسم آخر يعدّه بنية دلالية لا يكشف عنها إلاّ المتلقي الذي يحدد انسجام التّصووص من عدمها، و بالتالي فالانسجام هو جزء من عملية فهم النص، لأنّ القارئ عندما يعالج النص يبيّن تمثيلا للمعلومات التي يحتويها النص في ذهنه.

و قد اختلف الباحثون العرب في ترجمة مصطلح التماسك (cohesion)، فمثلا نجد تمام حسان يترجمه إلى الالتحام، و محمد مفتاح إلى التشاكل، و محمد خطابي اختار مصطلح الانسجام، و سعيد حسن بحيري إلى التماسك، في حين استعمل الباحثان سعد مصلوح و محمد العبد مصطلح الحبك بدلا من المصطلحات السابقة.

حتى و إن تعدّت هذه المقابلات العربية لمصطلح (cohésion) فإنّ مدلوله واحد يتلخّص

التّحوّية و البلاغية تشكّل فضاء النص و بعده المعرفي، بل انفتح النص على الحقل التداولي الواسع الذي نقل النص من الجمود إلى الحركة و من الفرضية إلى التّحقّق، و من النظرية إلى الممارسة¹³. فغادر النص حقله اللغوي إلى حقول معرفية أخرى، و لهذا لم تعد الأبنية النصية الداخلة في تشكيل النص تحلّل ضمن حقول اللغة وحدها، و إنّما تجاوز التحليل ذلك إلى فضاء معرفي تسهم فيه علوم عديدة.

إنّ الناقد العربي تتباين مرجعياته المعرفية من حقل لآخر، فنجد مثلا صلاح فضل يعتقد أنّ الأبنية النصية تتكون من ثلاثة أبنية هي البنية النصية الصغرى، و البنية النصية العليا، و البنية النصية الكبرى، فالبنية النصية الصغرى هيّ متتالية الجمل، أمّا البنية النصية العليا فهي مصطلح يطلق على الأبنية الكلية التي تحدّد خواص النص و نوعه، أمّا البنية النصية الكبرى تطلق على الوحدات البنوية الشاملة للنص¹⁴. أي تقترب من مضمون النص من دون أن يؤدّي ذلك إلى الفصل بين الشكّل و المضمون.

و يتعرّض الناقد صلاح فضل إلى تشكيل البنية النصية الكبرى، حيث يرى أنّ هذه الأبنية تتألف من الأبنية اللغوية الصغرى التي تتسم بالانسجام و التماسك (coherence)، و أنّ هذا التماسك اللازم للنص ذو طبيعة دلالية، مهما تدخلت فيه العمليات التداولية، فضلا عن أنّ التماسك يمتاز

1- المستوى التّحوي: و يشمل (العطف و الإشارة و الإحالة).

2- المستوى المعجمي، و يشمل (المطابقة، رد العجز على الصّدر، التكرير).

3- المستوى الدّلالي و يشمل (مبدأ الاشتراك، الجامع العقلي و الوهمي، العلاقات مثل: الإجمال و التفصيل و العموم و الخصوص، الجزء و الكل، موضوع الخطاب، ترتيب الخطاب، تنظيم الخطاب).

4- المستوى التّداولي: و يشمل النّظام التّفسي، الجامع الخيالي، السّؤال المقدّر، الأفعال الكلاميّة).

و يجمع محمّد خطّابي هذه المقترحات في منهج واحد و يضيف إليها المستوى البلاغي (الاستعارة) ¹⁷.

و من المحاولات الّتي تناولت انسجام النّص محاولة التّأقّد محمد مفتاح في حديثه عن المبادئ الكلّية للنّص و المفاهيم النّوعيّة للخطاب، فالنّاقّد يفرّق بين النّص و الخطاب، فيجعل النّص أشمل من الخطاب، لذا يتطرّق إلى المبادئ الكلّية الّتي تدخل في تشكيل النّص و نجملها في المخطّط الآتي ¹⁸:

في كونه العلاقات الخطّية الموجودة بين المعاني و المفاهيم و الأفكار في باطن النّص، حيث إنّنا قد نجد ظاهر النّص و كأنّه خالٍ من أيّ رابط يربط بين أجزاءه، فيستحيل -بفضل فعاليّة علاقات الانسجام- إلى نصّ متماسك متلاحم الأجزاء ¹⁶.

وقد أشار محمد خطّابي إلى الانسجام النّصيّ من خلال تحليله لقصيدة (فارس الكلمات الغريّبة) لأدونيس، حيث تحدّث في هذا التّحليل عن الانسجام النّصيّ و اتّساقه ثمّ مقارنة النّصوص الإبداعية وفق ذلك المفهوم، و هو ينطلق من مجموعة من الطّروحات الغريّبة، منها طروحات هاليداي و رقية حسن، في كتابهما الاتّساق في اللّغة الانجليزيّة (cohesion in English)، و طروحات فان دايك في كتابيه النّص و السّياق (Text and context).

ثمّ يشير محمّد خطّابي إلى الجهود البلاغيّة و التقديّة و الأصوليّة العربيّة عبر طروحات الجرجاني و السكاكين و العسكري و ابن طباطيا و السجلماي و الحاتمي و القرطاجني و غيرهم، ثمّ ينطلق لتّحليل مستويات بناء النّص الشّعري وفق منهج هجين يستند إلى الطّروحات الغريّبة و العربيّة، و يحاول أن يصنّف المقترحات العربيّة الّتي يقارب بها النّص على الشكل الآتي:

المبادئ الكلّية للنّص

العلاقة على المستوى الخطّي لبناء النصّ لبحث انتظامه على صعيد الكتابة. أمّا بناء النصّ على المستوى الخارجي، فإنّه يتمّ خارج النصّ عبر عملية التلقّي، لأنّ زمنيّة النصّ لا تحمل دلالتها في ذاتها إلاّ من خلال ارتباطها بالموضوع الذي تتلقاه، و إذا كان زمن النصّ محدوداً بزمن الكتابة فإنّ زمنه يكون مفتوحاً عبر زمن القراءة¹⁹.

أمّا المحور الثاني فهو التفاعل النصّي و يتشكّل من البنائات النصّيّة، و المتفاعلات النصّيّة، و أنواع التفاعل النصّي، و أشكال التفاعل و مستوييه، و فيما يخص البنائات السوسيو-نصّيّة، فيتناول ثلاثة محاور هي: البنية الاجتماعية داخل النصّ، النصّ و البنية السوسيو-لسانية، الرّؤية و الصوت في النصّ²⁰.

و انطلاقاً من هذا التصرّو يمكن أن نقول أنّ هذه المحاولة في بناء النصّ تركّز على ثلاثة محاور أساسية هي البناء النصّي و التفاعل النصّي، و البنية السوسيو- نصّيّة، و حسب سعيد يقطين أنّ هذه المحاور المقترحة تشكّل فضاء النصّ، و عبر فحص مكّونات هذه المحاور الثلاثة، نجد أنّ البناء النصّي يغلب عليه البناء الزمني، و التفاعل النصّي يغلب عليه الجانب (التناس) أمّا البنية السوسيو-نصّيّة فيغلب عليها الجانب المضموني.

و من هنا يتّضح لنا أنّ هذه المبادئ الكلية التي اقترحتها محمّد مفتاح هيّ مستقاة من اتجاهات لسانية متنوّعة، من أبرزها الاتجاه التداولي و الاتجاه التوليدي التحويلي و الاتجاه البنيوي، و منهج التلقّي، لهذا جاءت هذه المبادئ متنوّعة كما أشرنا، منها ما يخصّ المبدع (المقصدية و التفاعل)، و منها ما يخصّ النصّ (التوليد، التحويل، الانسجام، الزمان و الفضاء)، و منها ما يخصّ المتلقّي (التفاعل، الانسجام).

و لعلّ من أبرز المحاولات النّاضجة التي تعرّضت لبناء النصّ هي محاولة سعيد يقطين الذي انطلق لبناء النصّ من مرجعيات نظرية النصّ التي تجسّدت في طروحات جوليا كرستيفا، و جيرار جينيت، و كلوداريفي، و ميشال ريفاتير و بيزرما.

فالنصّ حسب سعيد يقطين يتكوّن من المكّونات الثلاثة و هي: البناء النصّي، و البنائات السوسيو-نصّيّة.

و يتكوّن المحور الأول و هو البناء النصّي من مستويين، هما البناء على المستوى الداخلي، و يتركب من علاقة زمن القصّة بزمن الخطاب، و معاينة هذه

خاتمة:

- لقد حظي النصّ بعناية واسعة من قبل النقاد و الباحثين العرب، و طرحت قضاياها كمحاور أساسية للبحث النظري و الممارسة الإجرائية في الخطاب النقدي العربي المعاصر خاصة بعد ظهور الدراسات النصّية في المجال الثقافي العربي و محاولة تأسيس نظرية نصّية تكون بديلة عن نظرية الأدب.

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى رصد مجموعة من النتائج التي استطعنا الوصول إليها من واقع الخطاب النقدي العربي المعاصر و هي:

- يعدّ النصّ من المفاهيم الحداثيّة الوافدة على الثقافة العربية، و على الرغم من احتفاء التراث النقدي و البلاغي بهذا المفهوم، فإنّ الخطاب النقدي العربي المعاصر ظلّ يستعمل هذا المفهوم بأبعاده الفكرية الغربية التي تتباين تباينا واسعا عن الأسس النصّية العربية.

- انطلق بعض النقاد الباحثين إلى تأسيس النصّ في الثقافة العربية معتمدين على المحاولات النقدية التراثية التي تتقارب مع الممارسة النصّية، و يتجلى هذا في ممارسة حازم القرطاجي، و الباقلاني و غيرها.

- إنّ الناقد العربي انطلق من مرجعيات متباينة لمعينة بناء النصّ، فكلّ ناقد ينطلق من رؤية معرفية تختلف عن رؤية الناقد الآخر.

- إنّ أغلب الدراسات التي تطرقت إلى بناء النصّ انطلقت من مرجعيات علم النصّ محاولة رصد ظاهرة الانسجام النصّي و الاتساق في مكونات الأبنية النصّية، باستثناء بعض المحاولات التي انطلقت من نظرية النصّ مثل محاولة سعيد يقطين.

الهوامش

- 1- سعيد يقطين و دراج فيصل، آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط1، 2003، ص30.
- 2- صبري حافظ، آفاق الخطاب النقدي، دراسات و قراءات تطبيقية، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1996، ص7.
- 3- محمد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي، بحث في تجليات القراءة السياقية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص07.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، 1994م، المجلد السابع، (ن ص ص)، ص97 و 99.
- 5- ينظر، سعيد يقطين، النصّ المترابط و مستقبل الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2008، ص21.

- 19 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص و السياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006، ص 52 و 76.
- 20 - المرجع نفسه، ص 103، 104.

- 6 - ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1985، ص 119 و 120.
- 7 - ينظر حاتم الصكر، ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 45 و 46.
- 8 - إبراهيم الخليلي، في نظرية الأدب و علم النص، بحوث و قراءات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 220.
- 9 - عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة و التكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1998، ص 29.
- 10 - ينظر: المرجع نفسه، ص 56.
- 11 - عبد الله الغدامي، تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص عربية معاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2006، ص 20.
- 12 - حامد مردان السامر، تلقي النص في الخطاب النقدي العربي المعاصر، دار الفكر للنشر و التوزيع، العراق، ط1، 1436 هـ، 2015 م، ص 215.
- 13 - ينظر، المرجع نفسه، ص 216 و 217.
- 14 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 204.
- 15 - المرجع نفسه، ص 236.
- 16 - ينظر: جلال مصطفاوي، الانسجام النصي و علاقاته (النظرية و التطبيق)، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد 39، 2018، ص 187.
- 17 - محمد خطّابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990، ص 50.
- 18 - محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير و إنجاز المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1990، ص 50.